

## الصيدلة

(بقلم عبدالعزيز بنعبدالله)

– **الصيدلة** : أي علم إعداد الأدوية التي يصفها الأطباء بعد تشخيص الداء عند المريض وكان الدواء بالأعشاب أو النباتات الطبية والعشاب أو العقاقيري هو الذي كان يقوم بتجميع هذه الأعشاب الطبية وتصفيتها لعرضها للبيع وتوجد من هذه الأعشاب مآت الزجاجات والأواني في دكاكين خاصة بكبريات المدن خاصة بمراكش وفاس والرباط وغيرها وقد صنفت كتب عديدة في وصف هذه الأعشاب وخواصها ومقادير استعمالها لكل داء وهو علم أصبح له اليوم وزن لا يقل عن الجانب الكيميائي في الصيدلة ويعرف بـ **herborisme** وقد أحصت ألمانيا من هذه الأعشاب أزيد من سبعة آلاف نوع يقوم الاختصاصيون في علم النبات بالبحث عنها في الغابات والحقول ولذلك كان معظم الأطباء صيدلانيين في آن واحد بل إن كثيرا من الجغرافيين أضافوا إلى معلوماتهم الخرائطية علم الأعشاب لقيامهم بالبحث عنها خلال استطلاعاتهم ولذلك يعتبر الشريف الإدريسي السبتي في طليعة العشابين وقد وصف نبات كل قطر في رحلاته (الاعلام للمراكشي ج 3 ص34) وللغافقي (كتاب الأعشاب) توجد نسخة منه في (دار الآثار العربية) وهو يحتوي على (380) رسما ملونا لنباتات وعقاقير وحيوانات تستعمل كلها كدواء وفي خصوص كتب النباتات المصورة يوجد في خزانة (المجلس البلدي في الإسكندرية) جزء من (مسالك الأبصار) لابن فضل الله العمري خاص بالنبات ولعله الجزء الثاني عشر (حسبما كتب في أوله) وابن البيطار (ت646هـ) المالقي وأستاذه النبطي من أعظم النباتيين العرب الذين وصلتنا مؤلفاتهم وأبو عبيد البكري صاحب (المسالك) له كتاب حول أعشاب الأندلس وأشجارها يصف لنا الأعشاب المسهلة وخواص شجرة أركان بالجنوب وينقل عنه ابن البيطار وقد امتاز عبد اللطيف البغدادي (ت629هـ) في وصف أعشاب مصر وقام الطبيب أبو مروان بن زهر (ت581هـ) بطلب من الخليفة عبد المومن الموحي بإنبات كرمة عنب كان يسقيها بماء مسهل لكرامية عبد المومن شرب المسهلات فصار يعطيه من ثمارها وقد ألف له (كتاب الأغذية) (ابن أبي أصيبعة ج 2 ص66) وتوجد بالمكتبة الوطنية بباريس (عدد 2960) مجموعة تحتوي على كتابي الأغذية والتيسير لابن زهر و (رسالة في الأدوية) وأبو يحيى بن قاسم الإشبيلي هو صاحب خزانة الأشربة والمعاجين وقد توفي بمراكش أيام المستنصر وجعل ولده مشرفا على الخزانة (طبقات الأطباء ص89) ومن الأطباء المغاربة الذين مهروا في الأدوية أبو جعفر عمر بن علي القلعي ولد بالمغرب وعاش في دمشق (ت576هـ) (لوكلير ج2 ص40) وكان المستشفى الذي بناه المنصور بمراكش يحتوي على خزانة للأدوية يشرف عليها صيادلة لعمل الأشربة والأدهان والأكحال وللبيروني (Aliboron) كتاب في (الصيدلة) (أو الصيدنة بالنون وهي أكثر اشتهاها) (ماكس مايرهوف في نشرة المعهد المصري ج22 عام 1940) وقد ذكر ميي Millet في كتابه (الموحدون) ص129 (ألف عام 1923) أن هذا المستشفى "تخلج منه إذا قورنت به مستشفيات باريس ويخلف وراءه مصحات أوروبا المسيحية " وقد أقام أبو يوسف المريني مرستات زودها بخزانة الأدوية ومن أبرز النباتيين الذين ظهوروا في هذا العصر (رشيد الدين الصوري) (ت639هـ) وقد درس هو وزملاؤه العرب الأعشاب دون الاعتماد على (ديسقوريدس وجالينوس) وكانوا ينظرون بين أعشاب المشرق والمغرب فقد رحل (ابن الرومية النبطي) المعروف بابن العشاب والمشارك في علمي الحديث والنبات (إذ موادها – كما يقول ابن الخطيب السلماني – الرحلة والتقيد وتصحيح الأصول) إلى الشرق (عام 613هـ) بعد ما درس أعشاب الأندلس والمغرب وقد صنف كتابا في (الحشائش) رتب فيه أسماءها على حروف المعجم وقد فاق أهل زمانه في معرفة النبات وقعد في دكان لبيعه وقد توفي بأشبيلية عام (638هـ) (نفح الطيب ج 1 ص635) وقد استفاد ابن البيطار مما كتبه (الصوري) وتنقل في جبال الشام لتصوير الأعشاب وسجل أسماء الأعشاب المغربية بالبربرية وسمي علماء النبات في الشرق بالعشابيين والشجارين والنباتيين والحشائشيين (التذكرة التيمورية).